خلق الجنة والنار بين أهل السنة والجماعة والمعتزلة

د. محمد خليل محمد النويهي *

تاريخ وصول البحث: 2013/4/17م تاريخ قبول البحث: 2013/10/7م

ملخص

إن الناظر في تصانيف وتواليف علم التوحيد، يجد أن أهل القبلة اتفقوا على حقية الجنة والنار وثبوتهما، وأنهما دار خلود للسعيد والشقي، ولكن الخلاف احتدم حول مسألة هل الجنة والنار مخلوقتان، أم ستخلقان يوم الجزاء؟

وكان الخلاف بين أهل السنة من جهة، والمعتزلة من جهة أخرى، فذهب أهل السنة إلى القول بخلق الجنة والنار، وذهبت المعتزلة إلى القول بعدم خلق الجنة والنار، وإنما ستخلقان يوم الجزاء، وبدأت كل فرقة من الفرقتين تسوق الأدلة التي تنصر قولها، وتزييف ما عداها من الأقوال، فأحببت أن أخوض غمار هذه المسألة، وأن أقف على أدلة الفريقين، مناقشاً وناقداً لما أراه بعيداً عن الحق، ومؤيداً وناصراً لما قام عليه الدليل، دون إفراط أو تفريط.

Abstract

Those who puruse the resources and basic chronicles of monotheistic theology can find that the People of Qiblah had agreed on the reality of Heaven and Hell as eternal abodes for the blessed and the miserable, respectively. However, the heated disagreement erupted whether Heaven and Hell had been already created or they are to be created in the future on the Judgment Day

There disagreement has been between the advocates of Ahlu Assuna, on the one hand, and Al- Mu'tazila, on the other hand. The former posited that they had been created while the latter assumed that they will be created later on the Day of Judgment. Each team has mentioned pieces of evidence that support its view and refutes the opposite standpoints. Therefore, the researcher decided to re-explore this issue and to examine these pieces of evidence used by each party; thus discussing and refuting any falsity also supporting and defending what hard evidence can prove without extreme fanaticism nor extreme leniency.

مقدمة.

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على النبي المبعوث رحمة للعالمين، وآله وصحبه الأخيار، لا سيما رفيقه في الغار، وبعد...

* محاضر متفرغ، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، كلية الدعوة وأصول الدين.

فالجنة والنار موجودتان، خالدتان أبداً، لا تفنيان سرمداً، على هذا انعقد إجماع الجيل الأول من الصحابة والتابعين، وما عرف لهم في ذلك مخالف، فلما بعد الزمان عن هدي النبوة، وكثرت الفتن، ظهر من يخالف فيما كان مُسَلَّماً به، ومن هذه المخالفات، مخالفة المعتزلة ومن وافقهم لأهل السنة والجماعة في خلق الجنة والنار، فذهب أهل السنة والجماعة إلى بقاء ما كان على ما كان، فقالوا إن الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان، وذهبت المعتزلة إلى القول بعدم خلقهما وعدم وجودهما، بل ستخلقان يوم القيامة، فخرقوا بذلك إجماع سلف الأمة.

موضوع الدراسة وأهميتها:

هذه دراسة يقصد منها بيان الحق في مسألة عقدية، هي مسألة خلق الجنة والنار، فهل الجنة والنار مخلوقتان، أم ستخلقان يوم الجزاء؟

وتنبع أهمية البحث؛ بسبب ما نلاحظه في هذا العصر من امتداح بعض المثقفين لفرقة المعتزلة، والثناء عليهم بأنهم أصحاب الحرية العقلية، والنثاء على غيرهم بالتقليد والجمود، فأردت أن أبين أن منهج المعتزلة العقلي، قد رافقه الخطأ في فهم النصوص الشرعية خاصة في مسألة خلق الخلدين.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى إثبات أمرين رئيسيين:

1. الوصول إلى الحق في هذه المسألة العقدية.
2. النظر في أدلة المثبتين لوجود الجنة والنار، وأدلة النافين لوجودهما، ومناقشتها وبيان تهافت المتهافت وضعف الضعيف من الأدلة.

منهج الدراسة:

توخّيْتُ المنهج التحليلي المتمثل في ذكر الأدلة التي تثبت خلق الجنة والنار، وعرض الأدلة التي تنفى خلق الجنة والنار، ليتوصل من خلال مناقشة هذه الأدلة إلى الحق في هذه المسألة.

واستخدمت كذلك المنهج النقدي في هذه الدراسة، وتمثل ذلك في الرد والنقد للرأي الضعيف، وإثبات الفكرة التي قام عليها الدليل وأيدها.

الدراسات السابقة:

لم يجد الباحث أي دراسات مستقلة تناولت مسألة الخلاف في خلق الجنة والنار، بل كل ما في هذا الموضوع، دراسات جاءت عرضاً في ثنايا الكتب والأبحاث، وبشكل مختصر لا يفي بالمقصود، فغالب من تحدث حول هذه القضية العقدية بين رأي من الآراء وأشار إلى الرأي الآخر مجرد إشارة، دون أن يعقد مقارنة بين الرآيين، أو أن يذكر أدلة كل فرقة، أو أن يناقش الأدلة مناقشة علمية موضوعية، لذلك قام الباحث في هذه المسألة باستدراك ما فات في الدراسات السابقة، والله أرجو أن يكلل هذا الجهد بالتوفيق.

خطة البحث:

وقد تكونت الدراسة من خمسة مطالب على النحو الآتي:

المطلب الاول:

تعريف عام بالجنة والنار، وفيه أمران:

الأمر الأول: تعريف عام بالجنة

الأمر الثاني: تعريف عام باالنار

المطلب الثاني:

آراء أهل السنة والجماعة في خلق الجنة والنار وأدلتهم.

المطلب الثالث:

آراء المعتزلة في خلق الجنة والنار وأدلتهم.

المطلب الرابع:

دراسة وموازنة(1)، وفيها أمران:

الأمر الأول: نقد أهل السنة والجماعة لأدلة المعتزلة من المنقول.

الأمر الثاني: نقد أهل السنة والجماعة لأدلة المعتزلة من المعقول.

المطلب الخامس:

دراسة وموازنة(2)، وفيها أمران:

الأمر الأول: نقد المعتزلة لأدلة أهل السنة والجماعة.

الأمر الثاني: رد أهل السنة والجماعة لنقد المعتزلة.

المطلب السادس:

مذاهب العلماء في خلق الجنة والنار، وفيه أمران:

الأمر الأول: مذاهب العلماء الذين قالوا بخلق الجنة والنار ووجودهما الآن من غير أهل السنة والجماعة.

الأمر الثاني: مذاهب العلماء الذين نفوا خلق الجنة والنار ووجودهما الآن من غير المعتزلة.

الخاتمة

الهوامش

المطلب الأول: تعريف عام بالجنة والنار، وفيه أمران:

الأمر الأول: تعريف عام بالجنة:

سأبحث هذا الأمر من خلال أربعة محاور، على النحو الآتي:

المحور الأول: مفهوم الجنة:

مفهوم الجنة لغة: عرَّف الراغب الجنة، فقال: "كل بستان ذي شجر يستر بأشجاره الأرض"[1].

وعرفها صاحب لسان العرب، بقوله: "والجنة: البستان، ومنه الجنات، والعرب تسمي النخيل جنة...والجنة: الحديقة ذات الشجر والنخل، وجمعها جنان... لاتكون الجنة في كلام العرب إلا وفيها نخل وعنب، فإن لم يكن فيها ذلك وكانت ذات شجر فهي حديقة وليست بجنة... وقد ورد ذكر الجنة في القرآن العزيز والحديث الكريم في غير موضع... وسميت بالجنة وهي المرة الواحدة من مصدر جنه جنا إذا ستره، فكأنما سَترةٌ واحدة لشدة التفافها وإظلالها"[2].

فالجنة عند أهل اللغة ما كان فيها أشجار نخل وعنب، وكانت هذه الأشجار كثيفة ملتفه، بحيث تستر الأرض من كثافتها والتفافها.

مفهوم الجنة اصطلاحاً:

يقول الرازي في بيان مفهومها: "ذكر الجنة بلام التعريف، فينصرف إلى ما هو المعلوم عند المسلمين، وليس ذلك إلا دار الثواب"[3]. ويقول الصاوي: "والمراد منها دار الثواب"[4].

فالمراد من الجنة في الاصطلاح؛ هي دار الثواب التي أعدها الله تعالى لعباده الطائعين، ندعو الله العظيم أن نكون من أهلها.

المحور الثاني: الدليل على ثبوت حقية الجنة:

إن الجنة من المسائل الغيبية، ومنهج أهل السنة والجماعة في إثبات هذه المسائل، يبينه صاحب تبصرة الأدلة، فيقول: " إن الدلائل السمعية وردت بثبوت عذاب القبر، فلا بد من القول بثبوته، ثم هو من الممكنات"[5].

يفهم من الكلام السابق، أن المسائل الغيبية، والتي منها عذاب القبر والجنة والنار، المنهج في إثباتها يكون على نقطتين، وهما:

النقطة الأولى: أن الدليل السمعي ورد بها.

النقطة الثانية: أنها من جملة الممكنات عقلاً.

وكل ما هو كذلك وجب الثبوت له، وأنه حق لا مرية فيه ولا شك، وهذا ما فعله العلماء بالفعل عند إثباتهم لحقية الجنة، فعند حديثهم عن النقطة الأولى وهي ورود الدليل السمعي بالجنة، يقول اللقاني: "الجنة... حق ثابتة بالكتاب والسنة واتفاق عظماء علماء الأمة، وكل ما هو كذلك فالإيمان به واجب"[6]، فإن اللقاني يصرح بورود نصوص كثيرة ذكرت فيها الجنة، وهذا ما سنقف عليه في ثنايا البحث، إن شاء الله تعالى.

وعند حديثهم عن النقطة الثانية، بأن الجنة من جملة الممكنات العقلية، يقول صاحب تحرير المطالب: "أما الإمكان[7] فأمر ضروري من جهة العقل"[8]، فالجنة أمر ممكن، بل الإمكان ضروري، لا يتوقف على نظر أو استدلال.

بل يعتبر الإمام السنوسي أن ثبوت حقية الجنة من المسائل التي تعلم من الدين بالضرورة، أي أن منكرها كافر، وفي ذلك يقول: "وأما الجنة... فثبوتها مما علم من الدين ضرورة"[9].

ويقول القاضي عبد الجبار: "فإن الأمة أجمعت على أن لا دار غير الجنة والنار"[10]، فأهل السنة والمعتزلة لا خلاف بينهم في حقية الجنة والنار وثبوتهما.

المحور الثالث: مكان الجنة:

عند حديثنا عن مكان الجنة، نجد أن العلماء اختلفوا في مكانها، وفي هذا يقول الكومي:" اختلف العلماء في محلهما "[11]، ويمكن أن نحصر أقوال العلماء في مكان الجنة بأربعة أقوال، وهي:

القول الأول: إن الجنة في العلو، دون الخوض في تحديد مكان في ذاك العلو، فيقول البزدوي: "الجنة في العلو"[12].

القول الثاني: إن الجنة فوق السماوات السبع وتحت العرش، وقد مال الأكثرون من العلماء إلى هذا القول، حيث يقول العرياني: "والأكثرون على أن الجنة فوق السبع وتحت العرش، تمسكاً بقوله تعالى: ﴿**عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى(14) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى**﴾ (النجم: ١٤ – ١٥)، وقوله عليه السلام: (سقف الجنة عرش الرحمن)[13]"[14].

القول الثالث: ويرى بعض العلماء التوقف في هذه المسألة، وذلك بسبب تعارض ظواهر النصوص التي عينت مكاناً للجنة، فيقول القاري: "وقيل: بالوقف حيث لا يعلمه إلا الله تعالى"[15].

القول الرابع: في حين يرى بعض العلماء أن الأسلم في مثل هذه المسألة أن نفوض علم ذلك إلى الله تعالى، وممن ذكر من العلماء التفويض في هذه المسألة الكومي، حيث يقول: "والحق في ذلك تفويض العلم إلى الله"[16].

تحرير محل النزاع:

بعد هذا العرض لأقوال العلماء في مكان الجنة، فالذي أراه أن الجنة لها مكان محدد بحدود علوية وسفلية، وذلك من خلال المقدمات الثلاث الآتية:

المقدمة الأولى: أن الجنة عبارة عن جسم، وكل جسم لابد أن يكون له حدود تحده، ينتج من ذلك أن الجنة لها حدود تحدها، وتلك الحدود بينها لنا القرآن والسنة المطهرة.

المقدمة الثانية: وعند بياننا لحد الجنة من العلو، فنقف عند حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه: (سقف الجنة عرش الرحمن)[17] ، فنفهم من هذا الحديث الشريف أن حدود الجنة من جهة الأعلى هو عرش الرحمن، يعني ذلك أن مكان الجنة تحت العرش.

المقدمة الثالثة: وأما عند ذكرنا لحد الجنة من جهة السفل، فنقف عند قول الله تعالى: ﴿**فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ**﴾ (الحديد: 13)، فهذه الآية الكريمة أخذت على عاتقها بيان حد الجنة من جهة السفل، وفي ذلك يقول الإمام الطبري: "وقد قيل: إن ذلك السور ببيت المقدس عند وادي جهنم... حدثنا ابن البرقي، قال: ثنا عمرو بن أبي سلمة، عن سعيد بن عطية بن قيس، عن أبي العوّام مؤذّنِ بيت المقدس، قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: إن السور الذي ذكره الله في القرآن: (فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ) هو السور الشرقيّ، باطنه المسجد، وظاهره وادي جهنم"[18].

ويقول القرطبي: "والسور حاجز بين الجنة والنار. وروي أن ذلك السور ببيت المقدس عند موضع يعرف بوادي جهنم. (باطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ) يعني ما يلي منه المؤمنين (وَظاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذابُ) يعني ما يلي المنافقين. قال كعب الأحبار: هو الباب الذي ببيت المقدس المعروف بباب الرحمة. وقال عبد الله بن عمرو: إنه سور بيت المقدس الشرقي باطنه فيه المسجد (وَظاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذابُ) يعني جهنم. ونحوه عن ابن عباس. وقال زياد بن أبي سوادة: قام عبادة ابن الصامت على سور بيت المقدس الشرقي فبكى، وقال: من ها هنا أخبرنا رسول الله ﷺ أنه رأى جهنم"[19]

من خلال هذه المقدمات الثلاث يمكننا أن نحدد مكاناً للجنة، فالمقدمة الثانية بينت لنا أن سقف الجنة هو عرش الرحمن، فهذا حدها من جهة العلو الذي ثبت بالحديث الشريف، وحدها من جهة السفل عند سور ببيت المقدس عند موضع يعرف بوادي جهنم، كما ثبت ذلك بأقوال المفسرين للآية القرآنية السابقة.

المحور الرابع: أسماء الجنة وأوصافها وأبوابها:

أولاً: أسماء الجنة:

للجنة أسماء كثيرة مبثوثة الذكر في كتاب الله تعالى، وكثرة هذه الأسماء تدل على شرف المسمى في الغالب، وكانت على النحو الآتي:

1- الجنة: وهو أشهر أسمائها، وقد ورد ذكره بقوله تعالى: ﴿**لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ**﴾ (الحشر: ٢٠).

ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ –دار السلام: وقد ورد ذكره بقوله تعالى: ﴿**لَهُمْ دَارُ السَّلامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ**﴾ (الأنعام: ١٢٧).

ٱلرَّحِيمِ – دار المتقين: وقد ورد ذكره بقوله تعالى: ﴿**وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ**﴾ (النحل: ٣٥).

بِسۡمِ – دار الآخرة: وقد ورد ذكره بقوله تعالى: ﴿**وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلا تَعْقِلُونَ**﴾ (يوسف: ١٠٩).

ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ –الحسنى: وقد ورد ذكره بقوله تعالى: ﴿**لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ**﴾ (يونس: ٢٦).

6- دار المقامة: ورد ذكره بقوله تعالى: ﴿**الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ**﴾ (فاطر:٣٥).

ويذكر اللقاني بعض أسمائها، فيقول: "أوسطها وأفضلها الفردوس، وهو أعلاها، وفوقها عرش الرحمن، ومنها تنفجر أنهار الجنة – كما جاء في الحديث[20]، وجنة المأوى، وجنة الخلد، وجنة النعيم، وجنة عدن، ودار السلام، ودار الخلد"[21]، لقد ذكر اللقاني أسماء الجنة التي ترغب في طلبها، لما لهذه الأسماء من مزيد حب في نفس طلابها، لدلالة هذه الأسماء على الخلود والإقامة والراحة والدعة.

ثانياً: أوصاف الجنة:

1- يصف لنا ربنا تبارك وتعالى الجنة وأنهارها وظلها، فيقول سبحانه: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً**﴾ (النساء: ٥٧).
2- ويصف لنا سبحانه الجنة بأن لها أبواباً، فيقول تعالى: ﴿**وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ**﴾ (الزمر: ٧٣).
3- ويصف لنا ربنا سبحانه وتعالى سعتها، فيقول تعالى: ﴿**سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ**﴾ (الحديد: ٢١).
4- ويصف لنا الله تعالى الجنة بأنها ذات عيون كثيرة مختلفة الطعم واللذة، يقول تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (45) ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ**﴾ (الحجر: ٤٥- ٤٦).
5- ويصف لنا الله تعالى شجر الجنة، فيقول تعالى: ﴿**فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ (28) وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ (29) وَظِلٍّ مَمْدُودٍ**﴾ (الواقعة: ٢٨-٣٠).
6- ويصف الله تعالى فاكهة الجنة، فيقول: ﴿**وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (32) لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ**﴾ (الواقعة:٣٢-٣٣).
7- ويصف لنا النبي ﷺالجنة، فيقول: (قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر)[22].

وعن عبد الله بن قيس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (جنان الفردوس أربع: ثنتان من ذهب حليتهما وآنيتهما وما فيهما، وثنتان من فضة آنيتهما وحليتهما وما فيهما، وليس بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن، وهذه الأنهار تشخب من جنة عدن ثم تصدع بعد ذلك أنهاراً)[23].

ولو أردنا أن نتتبع الأخبار والنصوص التي وردت في وصف الجنة لطال الذكر وخرج البحث عن المقصود.

ثالثاً: أبواب الجنة:

سأورد ما ذكره الإمام القرطبي في ذكره لأبواب الجنة، حيث قال: " ما جاء في أبواب الجنة وكم هي؟ ولمن هي؟ وسعتها، وفي تسميتها قال الله تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا**﴾ (الزمر:73)، قال جماعة من أهل العلم: هذه واو الثمانية فللجنة ثمانية أبواب، واستدلوا بقوله عليه الصلاة و السلام: (ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن محمداً عبده و رسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء)[24]... وجاء في تعيين هذه الأبواب لبعض العلماء كما جاء في حديث الموطأ و صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (من أنفق زوجين في سبيل الله نودي في الجنة يا عبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، و من كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان فقال أبو بكر: يا رسول الله ما على أحد يدعى من هذه الأبواب من ضرورة فهل يدعى أحد من هذه الأبواب؟ قال: نعم! وأرجو أن تكون منهم[25].

قال القاضي عياض: ذكر مسلم في هذا الحديث من أبواب الجنة أربعة وزاد غيره بقية الثمانية فذكر منها: باب التوبة، وباب الكاظمين الغيظ، وباب الراضين، والباب الأيمن الذي يدخل منه من لا حساب عليه.

قال المؤلف – رحمه الله –: فذكر الترمذي الحكيم أبو عبد الله أبواب الجنة في نوادر الأصول فذكر باب محمد صلى الله عليه وسلم، و هو باب الرحمة، وهو باب التوبة، فهو منذ خلقه الله مفتوح لا يغلق، فإذا طلعت الشمس من مغربها أغلق فلم يفتح إلى يوم القيامة، وسائر الأبواب مقسومة على أعمال البر، فباب منها للصلاة، وباب للصوم، وباب للزكاة والصدقة، وباب للحج، وباب للجهاد، وباب للصلة، وباب للعمرة، فزاد باب الحج، وباب العمرة، وباب الصلة، فعلى هذا أبواب الجنة أحد عشر باباً وقد ذكر الآجري أبو الحسن عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: (إن في الجنة باباً يقال له باب الضحى فإذا كان يوم القيامة ينادي مناد أين الذين كانوا يداومون على صلاة الضحى؟ هذا بابكم فادخلوه) [26] ذكره في كتاب النصيحة ولا يبعد أن يكون لنا ثلاثة عشر على ما ذكره أبو عيسى الترمذي عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (باب أمتي الذين يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة الراكب المجد ثلاثاً، ثم إنهم ليضغطون بعليه حتى تكاد مناكبهم تزول) [27]... ومما يدل على أنها أكثر من ثمانية حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من توضأ فأسبغ الوضوء ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صادقاً من نفسه أو قلبه، شك أيهما قال فتح له من أبواب الجنة ثمانية أبواب يوم القيامة، يدخل من أيها شاء) [28]... عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: (إن في الجنة باباً يقال له الريان، يدخل منه الصائمون فيدخلون منه، فإذا دخل آخرهم أغلق فلم يدخل منه أحد) [29]، قلت: وهكذا والله أعلم سائر الأبواب المختصة بالأعمال" [30].

الأمر الثاني: تعريف عام بالنار:

سأبحث هذا الأمر من خلال أربعة محاور، على النحو الآتي:

المحور الأول: مفهوم النار:

مفهوم النار لغة: يقول صاحب لسان العرب: "والنار: مؤنثة، وألفها عن واو، بدليل تصغيرها على نويرة وتجمع في القلة على نيرة وأنور، وفي الكثرة على نيران ونور، وأما النور فهو ضوءها، وضوء كل نير، وهو نقيض الظلمة"[31]، ويقول الجرجاني: "النار: هي جوهر لطيف محرق"[32].

مفهوم النار اصطلاحاً: "والمراد بالنار دار العذاب بجميع طباقها السبع"[33].

فالنار هي دار العذاب التي أعدها الله تعالى لمن هو أهل لها، أعاذنا الله تعالى بفضله ومنه منها ومن عذابها.

المحور الثاني: الدليل على ثبوت حقية النار:

من المعلوم أن النار من المسائل الغيبية، وقد سبق الحديث عن منهج علماء أهل السنة والجماعة في كيفية إثبات المسائل الغيبية، فقد ورد ذكر النار بنصوص شرعية، كقوله تعالى: ﴿**كَلاَّ إِنَّهَا لَظَى (15) نَزَّاعَةً لِلشَّوَى**﴾ (المعارج: ١٥-١٦)، وقوله تعالى: ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (5) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ**﴾ (الهمزة: ٥-٦)، وقوله تعالى: ﴿**فَسُحْقاً لأَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾ (الملك: ١١)، وقوله تعالى: ﴿**سَأُصْلِيهِ سَقَرَ**﴾ (المدثر: ٢٦)، وقوله تعالى: ﴿**خُذُوهُ فَغُلُّوهُ(30) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ**﴾ (الحاقة: 30-31).

والنار من جملة الممكنات العقلية، يقول الكومي: "أما الإمكان[34] فأمر ضروري من جهة العقل"[35]، وكل ما هو كذلك وجب التصديق به، فوجب التصديق بحقية النار.

المحور الثاني: مكان وجود النار:

عند حديثنا عن مكان وجود النار نجد أن العلماء اختلفوا في مكانها، وفي هذا يقول الكومي: "اختلف العلماء في محلهما"[36].

ويمكن أن نحصر أقوال العلماء في مكان النار بأربعة أقوال، وهي:

القول الأول: إن النار في السفل، دون الخوض في تحديد مكان في السفل، وفي ذلك يقول البزدوي: "والنار في السفل"[37].

القول الثاني: وذهب بعض العلماء إلى تحديد مكانها، وهو تحت الأرضين السبع أو فوقها، وفي ذلك يقول القاري: "وأما النار، فقيل: تحت الأرضين السبع وقيل: فوقها"[38].

القول الثالث: وذهب بعض العلماء إلى التوقف في مكانها، يقول القاري: "وقيل: بالتوقف أيضاً في حقها"[39][40].

القول الرابع: ومال بعض العلماء إلى التفويض في مكانها، يقول الكومي: "والحق في ذلك تفويض العلم إلى الله"[41].

تحرير محل النزاع في مكان النار:

وبعد عرض هذه الأقوال للعلماء، يمكن لنا أن نحدد مكان النار من خلال النظر في آيتين اثنتين من كتاب الله تعالى، وهما:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿**وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ**﴾ [الأعراف:46] .

حيث يقول الطبري: " القول في تأويل قوله: {وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلا بِسِيمَاهُمْ}، قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: (وبينهما حجاب)، وبين الجنة والنار حجاب، يقول: حاجز، وهو: السور الذي ذكره الله تعالى فقال: ﴿**فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ**﴾ (سورة الحديد: 13)، وهو الأعراف التي يقول الله فيها: (وعلى الأعراف رجال)، كذلك.

حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبد الله بن رجاء عن ابن جريج قال: بلغني عن مجاهد قال: "الأعراف، حجاب بين الجنة والنار"[42].

ويقول القرطبي: "أي بين النار والجنة- لأنه جرى ذكرهما- حاجز، أسور، وهو السور الذي ذكره الله في قوله: (فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ)"[43]

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿**فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ**﴾ (الحديد: 13).

يقول الإمام الطبري: "وقد قيل: إن ذلك السور ببيت المقدس عند وادي جهنم... حدثنا ابن البرقي، قال: ثنا عمرو بن أبي سلمة، عن سعيد بن عطية بن قيس، عن أبي العوّام مؤذّنِ بيت المقدس، قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: إن السور الذي ذكره الله في القرآن: (فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ) هو السور الشرقيّ، باطنه المسجد، وظاهره وادي جهنم"[44].

بالنظر إلى هاتين الآيتين وأقوال المفسرين فيهما، يمكننا أن نحدد مكان النار، وذلك من خلال مقدمتين اثنتين، وهما:

المقدمة الأولى: لقد علم عند حديثنا عن مكان الجنة أن حدها من جهة العلو هو عرش الرحمن وذلك اخذناه من قول النبي صلى الله عليه وسلم: (سقف الجنة عرش الرحمن)[45]، وحدها من جهة السفل عند سور ببيت المقدس عند

وادي جهنم كما قال ذلك الإمام الطبري عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ**﴾ (الحديد: 13) [46].

المقدمة الثانية: يفهم من قوله تعالى: ﴿**فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ**﴾ (الحديد: 13) أن الله تعالى جعل سوراً فاصلاً بين الجنة والنار، باطن السور من جهة الجنة وظاهره من جهة جهنم، فعلى ذلك حد الجنة من جهة السفل والذي قد عرفنا مكانه وبيناه في المقدمة الأولى عنده الحد الأعلى لنار جهنم والعياذ بالله تعالى، وبالنظر إلى آية الأعراف يتضح ذلك جلياً.

المحور الثالث: أسماء النار وأوصافها ودركاتها وأبوابها وسكانها:

أولاً: أسماء النار:

عند حديثنا عن أسماء النار يمكن أن نجملها في ثلاثة أسماء، وهي التي تطلق ويراد من ذكرها عموم النار، وهي:

1- النار: قال تعالى: ﴿**نَارٌ حَامِيَةٌ**﴾ (القارعة: ١١).

2- جهنم: ﴿**إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً**﴾ (النبأ: ٢١)، وأهلها يخرجون منها في النهاية، ولا يدخلها إلا الموحدون الذين خلطوا عملاً صالحاً بعمل سيء.

3- الجحيم: ﴿**خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ**﴾ (الدخان: ٤٧).

وأما ما تبقى من الأسماء التي تطلق على النار فهو جزء من النار فقط، وهذه الأسماء على النحو الآتي:

1- لظى: ﴿**كَلاَّ إِنَّهَا لَظَى (15) نَزَّاعَةً لِلشَّوَى**﴾ (المعارج: ١٥-16).

2- الحطمة: ﴿**كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (4) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (5) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ**﴾ (الهمزة: ٤ - 6).

3- السعير: ﴿**وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ**﴾ (الملك: ٥).

4- سقر: ﴿**سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (26) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (27) لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ**﴾ (المدثر: ٢٦- 28).

5- الهاوية: ﴿**فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (9) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ (10) نَارٌ حَامِيَةٌ**﴾ (القارعة: ٩ -١١).

6- سجين: ﴿**كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ**﴾ (المطففين: ٧).

7- سجيل: ﴿**تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ**﴾ (الفيل: ٤).

ويذكر اللقاني طبقات جهنم، فيقول: "وهي سبع طباق أعلاها جهنم، وتحتها لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم وفيها أبو لهب، ثم الهاوية، وباب كل من داخل الأخرى على الاستواء"[47].

ويسوق الصاوي لنا بياناً في أصحاب هذه الطبقات من نار جهنم، فيقول: "أعلاها جهنم: وهي لعصاة المؤمنين، وتصير خرابا بخروجهم منها، وتحتها لظى: وهي لليهود، قال تعالى: ﴿**كَلاَّ إِنَّهَا لَظَى (15) نَزَّاعَةً لِلشَّوَى**﴾ (المعارج: ١٥-١٦)، ثم الحطمة: قال تعالى: ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (5) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ**﴾ (الهمزة: ٥-٦)، وهي للنصارى، ثم السعير: قال تعالى: ﴿**فَسُحْقاً لأَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾ (الملك: 11)، وهي للصابئين: فرقة من اليهود ازدادوا ضلالاً بعبادتهم العجل، ثم سقر: وهي للمجوس عباد النار، قال تعالى: ﴿**سَأُصْلِيهِ سَقَرَ**﴾ (المدثر: ٢٦)، ثم الجحيم: وهي لعبدة الأصنام، قال تعالى: ﴿**خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (30) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ**﴾ (الحاقة: ٣٠ -٣١)، ثم الهاوية: وهي للمنافقين، وكل من اشتد كفره كفرعون وهامان وقارون"[48].

ثانياً: أوصاف النار:

1- يصف ربنا النار بأن لها سبعة أبواب، فيقول تعالى: ﴿**لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ**﴾

(الحجر: ٤٤).

2- ويصف الله تعالى وقود النار، فيقول سبحانه: ﴿**فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾ (البقرة: ٢٤).

3- ويصف الله تعالى شدة حرها، فيقول المولى الكريم: ﴿**تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً**﴾ (الغاشية: ٤).

4- ويصف الله تعالى أشجار النار، فيقول تعالى: ﴿**إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ (43) طَعَامُ الأَثِيمِ (44) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (45) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ**﴾ (الدخان: ٤٣- 46).

5- ويصف الله تعالى وديان النار، فيقول تعالى: ﴿**بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ**﴾ (الأنبياء: ١٨). ويقول تعالى: ﴿**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً**﴾ (مريم: ٥٩).

6- ويصف الله تعالى سراديق النار، فيقول سبحانه: ﴿**وَقُلْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً**﴾ (الكهف: 29).

والبحث يطول عند حديثنا عن وصف النار لكن نكتفي بما ذكرنا حتى لا يخرج البحث عن مقصوده.

المطلب الثاني: آراء أهل السنة والجماعة في خلق الجنة والنار وأدلتهم

سأبحث هذه المسألة من خلال نقطتين، وهما:

النقطة الأولى: مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة العقدية من خلال أقوال أئمتهم:

ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان، يقول ابن بطة: "خلق الجنة والنار وخلق لكل واحدة منهما اهلا هم ساكنوها أحصاهم عددا وعلم أعمالهم وأفعالهم وجعلهم شقيا وسعيدا وغويا ورشيدا"[49].

ويقول أبو عمرو الداني: "إن الله سبحانه قد خلق الجنة والنار قبل خلق آدم عليه السلام، خلقهما للبقاء لا للفناء وأعدهما لأهل الثواب والعقاب، على ما أخبر به تعالى في كتابه، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فقال عز من قائل: {مثل الجنة التي وعد المتقون}، وقال: {يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة}، وقال: {قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون}، وقال: {وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين} والشيء المعد لا يكون إلا موجوداً مفروغاً منه...وأن آدم عليه السلام خلق في جنة الخلد، ومنها أهبط بخطيئته إلى الأرض على ما أخبر به تعالى في قوله: {فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى} ثم قال بعد {اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو}، وقال: {يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة}"[50].

ويبين الأشعري مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة، فيقول: "واختلفوا في الجنة والنار: أخلقتا أم لا؟ فقال: أهل السنة والاستقامة هما مخلوقتان"[51]، ويقول الجرجاني: "الجنة والنار هل هما مخلوقتان الآن أو لا؟ ذهب أصحابنا[52]... إلى أنهما مخلوقتان"[53]، ويقول الرازي: "واعلم أن الجنة والنار مخلوقتان عند أهل السنة والجماعة"[54]، ويبين صاحب المسامرة أن هذا المذهب هو مذهب جمهور المسلمين، فيقول: "(الجنة والنار مخلوقتان الآن) وعليه جمهور المسلمين"[55]، ويبين الغزنوي من أهل السنة والجماعة معتقده في هذه المسألة، فيقول: "واعتقد أن الجنة والنار مخلوقتان لأهليهما"[56].

ويقول شارح الطحاوية: "اتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، ولم يزل على ذلك أهل السنة، حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية، فأنكرت ذلك، وقالت: بل ينشئهما الله يوم القيامة"[57].

ويقول صاحب الاعتقاد: "ثم الإيمان بأن الله خلق الجنة والنار قبل إن يخلق الخلق. ونعيم الجنة لا يزول أبداً والحور العين لا يمتن. وعذاب النار فدائم بدوامها، وأهلها فيها مخلدون خالدون، من خرج من الدنيا غير معتقد للتوحيد ولا متمسك بالسنة"[58].

ويقول البستي: "ويشهد لهذا المذهب حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي بصبي من الأنصار يصلي عليه، فقلت يا رسول الله طوبى لهذا لم يعمل شيئاً ولم يُدر به قال أو غير ذلك يا عائشة ان الله خلق الجنة وخلق لها أهلاً، وخلقها لهم وهم في أصلاب آبائهم، وخلق النار وخلق لها أهلاً وخلقها لهم وهم في أصلاب آبائهم، وقد ذكره أبو داود"[59].

ويقول القيرواني: "وأن الله سبحانه قد خلق الجنة فأعدها دار خلود لأوليائه وأكرمهم فيها بالنظر إلى وجهه الكريم وهي التي أهبط منها آدم نبيه وخليفته إلى أرضه بما سبق في سابق علمه وخلق النار فأعدها دار خلود لمن كفر به وألحد في آياته وكتبه ورسله"[60].

ويقول ابن تيمية: "وَنَعْتَقِدُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ وَإِنَّهُمَا مَخْلُوقَتَانِ لِلْبَقَاءِ؛ لا لِلْفَنَاءِ" [61].

النقطة الثانية: أدلة أهل السنة والجماعة على مذهبهم في هذه المسألة العقدية:

أولاً: الدليل العقلي: دليل الإمكان:

يقصد بهذا الدليل أن العقل لو ترك ونفسه دون مؤثر خارجي لحكم بجواز خلق الجنة والنار، فلا يترتب على خلقهما أي محال، وفي ذلك يقول القيرواني: "واعلم أنه لا إحالة في خلق الجنة"[62]، بل إن الرازي يجعل دليل الإمكان مع ورود النص ضابط لثبوت مثل هذه القضية العقدية الغيبية، فيقول: "والضابط في جميع هذه الأبواب، أن كل ذلك ممكن، وقد ورد الخبر الصدق به، فوجب تصديقه"[63].

ثانياً: الدليل السمعي:

استدل أهل السنة والجماعة بالآيات الآتية:

الآية الأولى: قوله تعالى في حق الجنة: ﴿**أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ (آل عمران:١٣٣)، وقوله تعالى في حق النار: ﴿**أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾ (البقرة: ٢٤).

ورد ذكر عدد من النصوص الشرعية التي تدلنا أن الله أعد – بصيغة الماضي– الجنة والنار، وهيئهما لعباده، فلما أُخبِر عنهما بلفظ الإعداد بصيغة الماضي، أدركنا أنهما موجودتان، يقول العرياني: "إن الله تعالى قد عبر عنهما في مواضع من كتابه بصيغة الماضي، الدالة على تكونهما، كقوله تعالى في حق الجنة: ﴿**أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ (آل عمران: ١٣٣)، وفي حق النار: ﴿**أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾ (البقرة: ٢٤). ﴿**وَبُرِّزَتْ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ**﴾ (الشعراء:٩١)"[64].

ويقول القاري: "لقوله تعالى: في نعت الجنة ﴿**أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ (آل عمران: ١٣٣)، وفي وصف النار: ﴿**أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾ (البقرة: ٢٤). وللحديث القدسي: "أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر"[65]... وهذه الصيغة موضوعة للمضي حقيقة فلا وجه للعدول عنها إلى المجاز إلا بصريح آية، أو صحيح دلالة"[66].

ونجد أن القيرواني يحدثنا عن وصف النبي عليه الصلاة والسلام للجنة وعرضها على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكل ذلك فرع عن وجودها، حيث يقول:" قال تعالى: ﴿**أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ (آل عمران: ١٣٣)، وقد وصفها عليه السلام فقال: (لبنة من ذهب ولبنة من فضة)[67]، ترابها المسك[68]... وفي الحديث: (إن الله تعالى لما خلق الجنة، قال لجبريل: أدخل الجنة وانظر ما أعددت فيها لعبادي الصالحين، فلمّا رآها جبريل عليه السلام، قال: يا رب ما يسمع بها أحد من عبادك إلا ويدخلها، فلمّا حفها بالمكاره قال جبريل: من ها هنا منع القوم)[69] أو كما قال... وأما ورود الخبر

بوقوعه فقوله تعالى: ﴿**أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ (آل عمران: ١٣٣)، وقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (13) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (14) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى**﴾ (النجم: ١٣- ١٥)، وفي الصحيحين: (عرضت عليّ الجنّة فتناولت منها عنقوداً)[70] الحديث، وفيهما: (إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة)[71]، الحديث، إلى غير ذلك من الآي والأحاديث المتفق على صحتها، واتفق سلف الأئمة ومن تبعهم من الخلف على إجراء هذه الآي على ظواهرها من غير تأويل لها، وأجمعوا على أن تأويلها من غير ضرورة إلحاد في الدين "[72].

ويقول التلمساني: "أما الجنة فلقوله تعالى في صفتها: ﴿**أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ (آل عمران: ١٣٣)، وأما النار فلقوله تعالى في صفتها: ﴿**فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾ (البقرة: ٢٤)."[73].

ويقول الباقلاني: "والدليل على أن الجنة والنار مخلوقتان: قوله تعالى: ﴿**وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ (آل عمران: ١٣٣)، والمعد لا يكون إلا موجودا مهيئاً، وأيضاً قوله: ﴿**إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً**﴾ (الكهف: ١٠٢)، إلى غير ذلك من الآيات، وأيضاً قوله صلى الله عليه وسلم: (عرضت عليّ ليلة الإسراء الجنة والنار)[74]، إلى غير ذلك من الأخبار"[75].

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ (البقرة: ٣٥).

ذكر الله تعالى قصة آدم وحواء عليهما السلام، وإسكانهما الجنة، فلو لم تكن الجنة موجودة لما كان هناك معنى لإسكانهما بها، وإذا ثبت خلق الجنة ثبت خلق النار لأنه لا قائل بالفصل، وفي ذلك يقول العرياني: "نقل آدم عليه السلام وحواء منها بعد إسكانهما يتحقق القائل بالفصل كان ثبوت الجنة ثبوتاً للنار، ولذلك اكتفى بذكر الجنة والاستدلال عليها"[76].

ويسوق البزدوي دليلاً على أن الجنة التي أخرج منها آدم عليه السلام هي جنة الخلد بأن الله تعالى ذكر لآدم عليه السلام أوصاف هذه الجنة عند إدخاله إليها، وهذه الأوصاف لا تكون إلا في جنة الخلد، وهذه الأوصاف لا تعقل إلا في الجنة الموعودة، وفي ذلك يقول البزدوي: "وكذلك قال الله تعالى: ﴿**وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ**﴾ (البقرة: ٣٥)، وقال تعالى: ﴿**فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنْ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (117) إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى (118) وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى**﴾ (طه: ١١٧- ١١٩)، أخبر أنه لو خرج من الجنة؛ يشقى، وأنه في الجنة لا يجوع ولا يعرى ولا يظمأ ولا يضحى، وهذا من صفات جنات عدن لا من صفات جنّات الدنيا، فدلتنا هذه الآية أن آدم عليه السلام كان في جنات عدن"[77].

ويشير الرازي إلى أن اللام في لفظ الجنة هي لام العهد، فيقول: "وقال تعالى لآدم: ﴿**اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ**﴾ (البقرة: ٣٥)، ذكر الجنة بلام التعريف، فينصرف إلى ما هو المعلوم عند المسلمين، وليس ذلك إلا دار الثواب"[78].

ويشير صاحب المسامرة إلى جملة من الأدلة على وجود الجنة، فيقول: "وقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى(13) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (14) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى**﴾ (النجم: ١٣- ١٥)، وكحديث الإسراء وكحديث الكسوف (والإجماع من الصحابة) رضي الله عنهم فإنهم أجمعوا (على فهم ذلك) من الكتاب والسنة (وطريقة التتبع) أي طريق معرفة إجماع الصحابة على فهم ذلك تتبع ما نقل من كلامهم في تفسير الآيات المذكورة والأحاديث الواردة فإن ذلك يفيد اتفاقهم على فهمهم من الجنة ما ذكرناه"[79].

المطلب الثالث: آراء المعتزلة في خلق الجنة والنار وأدلتهم

سأبحث هذا الأمر من خلال نقطتين، وهما:

النقطة الأولى: أقوال العلماء في بيان مذهب المعتزلة في خلق الجنة والنار:

أبدأ بقول القاضي عبد الجبار، فيقول: "إن الجنة لم تخلق بعد... إلا أن الذي نذهب إليه أن جنة الخلد خاصة إنما تخلق بعد الإعادة"[80]، ويقول صاحب الكشاف المعتزلي، حيث يقول: "فإن قلت :الجنة مخلوقة أم لا؟ قلت: قد اختلف في ذلك، والذي يقول إنها مخلوقة يستدل بسكنى آدم وحواء الجنة"[81]، فالزمخشري يذكر أن هذه المسألة من المسائل التي وقع حولها الخلاف، ثم يشير بقوله: (والذي يقول) ليبين أن هذا القول ليس مرضياً عنده، وأنّه حكاية عن مذهب غيره، الذين هم أهل السنة.

ويذكر العرياني أن المعتزلة هم النافون لخلق الجنة والنار، فيقول: "وخالفهم أكثر المعتزلة، وقالوا: إنما يخلقان يوم العرض والجزاء"[82]، فعند المعتزلة أن الجنة والنار تخلقان يوم العرض والجزاء.

ويشير التلمساني إلى ذلك، فيقول: " وقد أنكرت طوائف من المعتزلة خلقها "[83]، ويقول الرازي: "وقالت... المعتزلة... غير مخلوقتين"[84].

ويصرح اللقاني بأمر قد يحدث به اللبس، لأنه ربما قد يفهم من نفي المعتزلة لخلق الجنة والنار، أن المعتزلة ينفوف حقيتهما، وهذا ليس بمذهب لهم، فيقول: "ومن المردود عليهم أيضا أبو هاشم والقاضي عبد الجبار المعتزليان ومن على شاكلتهما من المعتزلة، فإنهم قالوا بحقية الجنة والنار ومنعوا خلقهما، وقالوا: إنما تخلقان يوم الجزاء"[85]. ويبين لنا القيرواني موقف المعتزلة للنصوص التي تدل على خلاف مذهبهم، وتصرح بخلق الجنة والنار، حيث قام المعتزلة بتأويل هذه النصوص، فيقول: "وقالت المعتزلة بتأويل هذه الآي والأحاديث"[86]. ويقول الجرجاني: "وأنكره أكثر المعتزلة... وقالوا: إنهما يخلقان يوم الجزاء"[87]. ونجد أن رأس أهل السنة والجماعة الإمام الأشعري[88]، يصرح بأن النافين لخلقهما من المعتزلة وغيرهم هم أصحاب بدعة في الدين، فيقول: "وقال كثير من أهل البدع: لم تخلقا"[89].

النقطة الثانية: أدلة النفاة من المعتزلة على مذهبهم في هذه المسألة العقدية:

استدل النفاة من المعتزلة على مذهبهم بنوعين من الأدلة، بالمنقول والمعقول، ونبدأ بالنوع الأول من الأدلة:

النوع الأول: الدليل من المنقول:

استدل المعتزلة على مذهبهم في هذه المسألة بجملة من النصوص الشرعية والتي يمكن أن ندرجها على النحو الآتي:

الدليل السمعي الأول: استدلالهم بقوله تعالى: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ**﴾ (القصص: ٨٨)، مع قوله تعالى: ﴿**أُكُلُهَا دَائِمٌ**﴾ (الرعد: ٣٥).

وأبدأ بذكر استدلال المعتزلة أنفسهم بهاتين الآيتين على مذهبهم، فيقول القاضي عبد الجبار في تفسيره المسمى (بالمحيط): "هذه الآية تدل على أن الجنة لم تخلق بعد، لأنها لو كانت مخلوقة لوجب أن تفنى وأن ينقطع أكلها لقوله تعالى: ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ**﴾ (الرحمن: 26) و﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ**﴾ (القصص: 88)، لكن لا ينقطع أكلها لقوله تعالى: ﴿**أُكُلُهَا دَائِمٌ**﴾، فوجب أن لا تكون الجنة مخلوقة "[90].

ويشير اللقاني إلى جهة استدلال المعتزلة بالدليل السابق، فيقول: "أنهما لو خلقتا لهلكتا؛ لقوله تعالى: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ**﴾ (لقصص: ٨٨)، واللازم باطل، للإجماع على دوامها، للنصوص الشاهدة بدوام أُكل الجنة وظلها"[91]، وجه الاستدلال بالآية عند المعتزلة، أنه لو فرض خلق الجنة والنار، للزم من ذلك هلاكهما، لعموم الهلاك للأشياء الوارد في الآية القرآنية ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ**﴾ (القصص: ٨٨)، لكن هلاكهما ينافي آية قرآنية أخرى وهي قوله تعالى: ﴿**أُكُلُهَا دَائِمٌ**﴾ (الرعد: ٣٥)، فالآية تشير إلى دوام أُكل الجنة، ولكن الهلاك الذي أشارت إليه الآية الأولى ينافي الدوام، فلما تعارض مفهوم كل من الآيتين دل على أن الجنة والنار لم تخلقا بعد، وإنما ستخلقان يوم الجزاء.

ويفصل العرياني مذهب المعتزلة بكيفية استدلالهم بالآيتين السابقتين على مذهبهم، فيقول: "استدل المخالف بأن الجنة غير مخلوقة الآن، لأنها لو كانت مخلوقة الآن لما كانت دائمة، لكان اللازم باطلاً، والملزوم مثله. أما بيان الملازمة فلأن الجنة مما سوى الله تعالى، وكل ما سوى الله تعالى فهو ينعدم، لقوله تعالى: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ**﴾ (القصص: ٨٨)، ينتج أن الجنة ينعدم، فثبت أنها لو كانت موجودة لما كانت دائمة.

وأما بطلان اللازم وهو عدم الجنة فلقوله تعالى: ﴿**أُكُلُهَا دَائِمٌ**﴾ (الرعد: ٣٥)، أي مأكولها، وحينئذ يلزم دوام الجنة، إذ وجود مأكول الجنة بدون وجودها غير معقول المعنى، وإذا ثبت أن الجنة غير مخلوقة الآن ثبت أن تكون النار كذلك، لعدم القائل بالفصل"[92].

الدليل السمعي الثاني: استدلالهم بقوله تعالى: ﴿**وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ**﴾ (آل عمران: ١٣٣).

استدل المعتزلة على نفي خلق الجنة والنار، بهذا الدليل النقلي الذي يصرح أن حجم الجنة والنار هو حجم السماوات والأرض، فلو فرض أنهما مخلوقتان، مع جزمنا بخلق السماوات والأرض، لأدى ذلك إلى تداخل الأجرام، ولكن تداخل الأجرام محال، فخلق الجنة والنار محال، وفي هذا يقول التلمساني: "ومما تمسكوا به قوله تعالى: ﴿**وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ**﴾ (آل عمران: ١٣٣)، فدل على أن الجنة إنما تكون بعد تخريب السماوات والأرض"[93].

إن الذي بينه التلمساني هو جهة استدلال المعتزلة بهذه الآية، لذلك لو وقفنا مع أقوال أئمة المعتزلة في تفاسيرهم حول هذه الآية سنجدهم أنهم يعتبرون هذه الآية لا علاقة لها في إثبات خلق الجنة، بل يعتبرون إن هذه الآية تدل على بيان سعة الجنة فحسب، وفي ذلك يقول أبو القاسم الكعبي البلخي: " فإن قيل: فإن الجنة في السماء، كيف يكون لها هذا العرض؟... وقال البلخي: المراد بذلك وصفها بالسعة والعظم، كما يقول القائل في دار واسعة هذه دنيا وغرضه بذلك وصفه لها بالكبر "[94].

هذه جملة من الأدلة السمعية والتي استدل بها المعتزلة لنصرة مذهبهم، ولإثبات أن الجنة والنار لم توجدا بعد، بل ستوجدان يوم الجزاء.

النوع الثاني: الدليل من المعقول:

ذكر المعتزلة دليلين من المعقول لإثبات حقية مذهبهم في هذه المسألة العقدية، وهما:

الدليل الأول: أن خلق الجنة والنار قبل الثواب والعقاب عبث لا فائدة منه:

فعند المعتزلة أن وجود الجنة يلزم منه وجود من يتمتع به، أما ان توجد ولا متمتع بها فهذا مرفوض عندهم، فيشير القاضي عبد الجبار إلى هذا المعنى فيقول: "فلا ننكر أن يحصل الآن في السماوات جنات كثيرة يتمتع بها الملائكة، ومن يعد حياً من الأنبياء والشهداء وغيرهم على ما روي في ذلك، إلا أن الذي نذهب إليه أن جنة الخلد خاصة إنما تخلق بعد الإعادة"[95]، فنلاحظ أن القاضي على فرض وجود جنة لا بد من متمتع بها، حتى لو كانت هذه الجنة ليست جنة الخلد فإذا كان القاضي يرفض فكرة وجود جنة غير متمتع بها وإن لم تكن جنة خلد فمن باب أولى أن يرفض وجود جنة الخلد الغير متمتع بها.

ويقول التلمساني: "وقد أنكرت طوائف من المعتزلة خلقها وزعموا أن لا فائدة فيه قبل الثواب والعقاب"[96]، والعبث وعدم الفائدة مما لا يليق بالله سبحانه وتعالى، ويقول صاحب المسامرة: "(قالوا: (لأن خلقهما قبل يوم الجزاء) عبث (لا فائدة فيه) فلا يليق بالحكيم"[97]. واعتبر المعتزلة أن هذا الدليل من المعقول، من الأسباب التي تجيز لهم تأويل النصوص التي تصرح بخلق الجنة والنار الآن، وفي ذلك يقول القيرواني: " وقالت المعتزلة بتأويل هذه الآي والأحاديث، وزعموا أنه لا فائدة في خلقها، وجعلوا ذلك موجباً لتأويلها"[98].

الدليل الثاني: أننا لو فرضنا خلقهما ففلكيات العالم لا تسعهما، فخلقهما يكون بعد فناء هذا العالم حتى يكون لهما مكان يسعهما، لذلك فإن المعتزلة لما فسروا قوله تعالى: ﴿**وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ**﴾ (آل عمران: ١٣٣)، قالوا: المقصود من الآية بيان سعة الجنة وليس المقصود بيان وجودها الآن، لأنهم أرادوا أن يفروا من تداخل الأفلاك المزعوم، وفي ذلك يقول أبو القاسم الكعبي البلخي: "فإن قيل: فإن الجنة في السماء، كيف يكون لها هذا العرض؟... وقال البلخي: المراد بذلك وصفها بالسعة والعظم، كما يقول القائل في دار واسعة هذه دنيا وغرضه بذلك وصفه لها بالكبر"[99].

وفي ذلك يقول اللقاني: "وأنهما لو وجدتا؛ ففلكيات هذا العالم لا تسعهما، وكذلك عنصرياته، وكونهما في عالم آخر مستلزم للمحال الذي هو الخرق والالتئام؛ لمقدمات بنوها على قواعد فلسفية جهلاً أو عنادًا تعلم من الأصل"[100].

ويشير إلى المعنى السابق الجرجاني، فيقول: "لو وجدنا فإما في عالم الأفلاك أو العناصر أو في عالم آخر والأقسام الثلاثة باطلة، أما الأول: فلأن الأفلاك لا تقبل الخرق والالتئام فلا يخلطها شيء من الكائنات الفاسدات، وهما على الوجه الذي يثبتونه من قبيل ما يتكون ويفسد، وأما الثاني فلأنه قول بالتناسخ لأن النفوس تعقلت حينئذ بأبدان موجودة في العناصر بعد أن فارقت أبداناً فيها وأنتم لا تقولون به وقد أبطل أيضاً بدليله، وأما الثالث: فلأن الفلك بسيط وشكله الكرة ولو وجد عالم آخر لكان كروياً أيضا فينفرض بينهما خلاء سواء تباينا أو تماسا وإنه محال، وأنت خبير بأن هذا دليل لمن ينكر وجودهما مطلقا لا لمن ينكر وجودهما في الحال فقط"[101].

المطلب الرابع: دراسة وموازنة (1)، وفيها أمران:

الأمر الأول: نقد أهل السنة والجماعة لأدلة المعتزلة من المنقول:

نقد دليلهم الأول: استدلالهم بقوله تعالى: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ**﴾ (القصص: ٨٨)، مع قوله تعالى: ﴿**أُكُلُهَا دَائِمٌ**﴾ (الرعد: ٣٥).

بين العرياني المقصود من دوام الأكل الوارد في الآية القرآنية، فقال: "المراد بدوام الأكل أنه إذا أفنى منه شيء جيء ببدله، لا أنه يبقى بعينه، وذلك لا ينافي الهلاك لحظة"[102]، فعلى هذا الكلام أكل أهل الجنة يفنى ولكنه يتجدد، وذلك لا يناقض دوام الأكل، فعلى هذا يسقط استدلالهم بالآية، ويزيد العرياني الأمر توضيحاً، فيقول: "إن أكل الجنة دائم بمعنى لا ينقطع، كلما فني شيء منه حدث عقيبه مثله، لا بمعنى أنه فان بالأكل، لأن الفاني بالأكل لا يوصف بالدوام، هكذا ينبغي أن يفهم هذا المقام، فإنه من مزالق الأقدام"[103].

ونجد أن اللقاني يفهم من أية دوام الأكل ما فهمه غيره من العلماء، حيث يشير إلى الفهم السابق بقوله: "بأن الدوام المجمع عليه هو أنه لا انقطاع لبقائهما، ولا انتهاء لوجودهما، بحيث لا تبقيان على العدم زماناً يعتد به، كما في دوام المأكول، فإنه على التجدد والانقضاء قطعاً؛ إذ لا يمكن دوام مأكول بعينه، وإنما المراد بالدوام إذا فني شيء جيء ببدله"[104].

وبعض العلماء اعتبر أن العموم في آية الهلاك، ورد عليه التخصيص بآيات أخرى، منها أية دوام الأكل، وفي ذلك يقول العرياني: "لم لا يجوز أن يكون هذا العام مخصصاً بقوله تعالى: ﴿**أُكُلُهَا دَائِمٌ**﴾ (الرعد: ٣٥)، ومعناه حينئذ أن كل شيء مما سوى الله تعالى غير الجنة يطرأ عليه العدم، يؤيده ما حكي عن الضحاك أنه قال: كل شيء هالك إلا الله والعرش والجنة والنار، وهذا الجواب راجع إلى منع دليل الملازمة، يعني لا نسلم أن كل ما سوى الله تعالى فهو ينعدم"[105]، ويصرح التلمساني عند حديثه حول هذه الآية أنها عام مخصوصن فيقول: "قلنا: عام دل الدليل على تخصيصه"[106].

ويبين القيرواني أن الجنة والنار من المستثنيات من عموم آية الهلاك، فيقول: " قيل لهم: هو عموم مخصوص، والجنة أحد المستثنيات التي خصها الدليل، قال تعالى: وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ﴿**فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ**﴾ (الزمر: ٦٨)، قال ابن عباس: الموجودات المحدثات التي لا تفنى سبعة: اللوح، والقلم، والعرش، والكرسي، والجنة، والنار، والأرواح، ومن هذه السبعة ما وافقت المعتزلة: كالعرش، والكرسي، والأرواح، واللوح، فلا حجة لهم في الآية "[107].

نقد دليلهم الثاني: استدلالهم بقوله تعالى: ﴿**وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ**﴾ (آل عمران: ١٣٣).

استدل النافون لخلق الجنة والنار بالآية السابقة، حيث تشير الآية أن الجنة عرضها السماوات والأرض، فلو كانت مخلوقة، مع جزمنا بخلق السموات والأرض، للزم تداخل الأجرام، وتداخل الأجرام محال، فما أدى إليه محال.

يقدم التلمساني نقده لهذا الدليل، فيقول: "ومما تمسكوا به قوله تعالى: ﴿**وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ**﴾ (آل عمران: ١٣٣)، فدل على أن الجنة إنما تكون بعد تخريب السماوات والأرض.

قلنا: المعنى: كعرض السماوات والأرض، لا أنها في محلهما، وقد صح في الآثار أن الدرجة السفلى من الجنة فوق السماء السابعة، ويشهد له قوله تعالى: ﴿**عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى**﴾ (النجم: 14) والسدرة فوق السماء السابعة، وسميت بالمنتهى، لأن أوهام الخلق تنتهي إليها ولا تتعداها، والله أعلم"[108].

ويذهب الجرجاني في نقده لهذا الاستدلال، إلى الكلام السابق نفسه ، فيقول: "المراد أنها أي عرضها كعرض السماوات والأرض"[109].

الأمر الثاني: نقد أهل السنة والجماعة لأدلة المعتزلة من المعقول:

استدل المعتزلة على مذهبهم بدليلين اثنين من أدلة المعقول، ووجه أهل السنة والجماعة نقدهم إلى هذين الدليلين، وكان ذلك على النحو الآتي:

الدليل الأول ونقده:

أما الدليل الأول للمعتزلة، أن خلق الجنة والنار قبل الثواب والعقاب عبث لا فائدة منه، والمولى الكريم منزه عن العبث.

وأما نقد هذا الدليل، من وجهين، هما:

الوجه الأول: لا نسلم لهم أن أفعال الله تعالى تبنى على الأغراض، بل الله تعالى يفعل ما يريد، وكيف يريد، وإلى هذا النقد أشار التلمساني بقوله: "وقد أنكرت طوائف من المعتزلة خلقها وزعموا أن لا فائدة فيه قبل الثواب والعقاب... وأفعال الله تعالى لا تحمل على الأغراض على أصول أهل الحق، فهو يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد"[110]. ويشير السنوسي إلى المعنى السابق، فيقول: "وأفعال الله تعالى لا تتوقف على الأغراض، بل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد"[111]. وينقل القيرواني عن إمام الحرمين الجويني، أن زعم المعتزلة عدم خلق الجنة والنار لعدم الفائدة، هو خرق لإجماع المسلمين، فيقول: "وزعموا أنه لا فائدة في خلقها، وجعلوا ذلك موجباً لتأويلها، قال إمام الحرمين: وهذا انسلاخ عن إجماع المسلمين وأفعال الله تعالى لا تحمل على الأغراض، وهو تعالى يفعل ما يشاء"[112].

وينقد صاحب المسامرة زعم الزاعم أن أفعال الله تعالى تعلل بالأغراض، فيقول: "قالوا: (لأن خلقهما قبل يوم الجزاء) عبث (لا فائدة فيه) فلا يليق بالحكيم، وضعفه ظاهر لما تقرر من بطلان القول بتعليل أفعاله تعالى بالفوائد لا يُسأَل عمَّا يفعل سبحانه"[113].

الوجه الثاني: أنَّ عدم الفائدة التي بنى المعتزلة دليلهم عليها، قد تنتفي، وتوجد الفائدة، وفي ذلك يقول السنوسي: "فما المانع من اشتمالها على فائدة عجزت عقولنا عن الوقوف عليها، ونقول: ما المانع أن يكون في إعدادهما لطف في

الإيمان بإكمال تحقق الوعد والوعيد، ونفع من كان بها من الحور والولدان، ومن يرد عليهم من أرواح الشهداء والأولياء والأطفال، وكذلك أرواح الكفار بالنسبة إلى النار"(114).

ويقول القيرواني: "ويقال لهم لم قلتم: إنه لا فائدة في خلقها، بل له فوائد فمنها الحث والحضّ والترغيب في الطاعات الموصلة إليها؛ ومنها أن أرواح السعداء يتنعمون بها في البرزخ وأرواح الشهداء ترزق منها؛ ومنها أن الحور العين يتهيؤون فيها لأولياء الله المؤمنين ويتنعمون فيها، إلى غير ذلك؛ مع أنه تعالى يفعل ما يشاء بلا علة لصنعه"(115).

الدليل الثاني ونقده:

أما الدليل الثاني الذي ساقه المعتزلة فهو أننا لو فرضنا خلقهما ففلكيات العالم لا تسعهما، فخلقهما يكون بعد فناء هذا العالم حتى يكون لهما مكان يسعهما.

وأما نقد هذا الدليل، أنَّ الدليل الذي ساقه المعتزلة، قد بُنِيَ على مقدمات فلسفية عوراء، وإلى هذا المعنى يشير اللقاني: "أنهما لو وجدتا؛ ففلكيات هذا العالم لا تسعهما، وكذلك عنصرياته، وكونهما في عالم آخر مستلزم للمحال الذي هو الخرق والالتئام؛ لمقدمات بنوها على قواعد فلسفية جهلاً أو عنادًا...".

وملخص الجواب: أنَّ الجنة والنار موجودتان في عالم يعلمه الله الذي أحاط بكل شيء علماً، وفي الحديث: "أنَّ هرقل كتب إلى النبي ﷺ: تدعونني إلى جنة عرضها السموات والأرض فأين النار؟ فقال عليه الصلاة والسلام: سبحان الله! أين الليل إذا جاء النهار؟!؟ وهو حديث صحيح(116)، يشهد له ما أخرجه الحاكم وصححه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "جاء رجلٌ إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد، أرأيت جنة عرضها السموات والأرض؛ فأين النار؟ فقال: أرأيت الليل إذا ألبس كل شيء فأين جعل النهار؟ فقال السائل: الله أعلم، فقال عليه الصلاة والسلام: كذلك الله يفعل ما يشاء"(117).

نجد أن النقد السابق يحمل ثلاث دلالات، يمكن أن نجملها بما يأتي:

الدلالة الأولى: المعتزلة بنوا هذا الدليل على مقدمات وقواعد فلسفية جهلاً أو عنادًا، وقواعدهم لا تقوم كشبهة علاوة على أن تقوم كدليل.

الدلالة الثانية: خلق الله تعالى لا ينحصر بالسماوات والأرض فقط، بل سبحانه له عوالم لا يعلمها إلا هو، فالجنة والنار موجودتان في عالم يعلمه الله الذي أحاط بكل شيء علماً، وعدم علم المعتزلي بهذه العوالم لا يدل على عدم وجودها.

الدلالة الثالثة: لو أردنا أن نطبق مثالاً، لتقريب معنى وجود الجنة والنار مع وجود السموات والأرض، فنقول أين الليل إذا جاء النهار، وأين النهار إذا جاء الليل، فكما أننا نعترف بوجود النهار حال وجوده، ولا ننكر وجود الليل، فكذا نقر بوجود الجنة والنار، مع وجود السماوات والأرض.

المطلب الخامس: دراسة وموازنة(2)، وفيها أمران:

الأمر الأول: نقد المعتزلة لأدلة أهل السنة والجماعة:

المحور الأول: نقدهم لدليل الإمكان:

استدل أهل السنة على خلق الجنة والنار، بدليل الإمكان، فخلقهما أمر ممكن عقلاً، أي لا يترتب عليه محال عقلي، لكن المعتزلة أثبتوا ترتب المحال العقلي على القول بوجود الجنة والنار، وإذا ثبت ترتب المحال العقلي على خلق الجنة والنار قبل يوم الجزاء فيكون خلق الجنة والنار محال ليس بممكن، لأنه ما يترتب عليه المحال محال، فيقول القاضي عبد الجبار المعتزلي إنَّ القول بخلق الجنة والنار مع جزمنا بأنَّ نعيمها وأكلها لا يفنى لقوله تعالى: ﴿**أُكُلُهَا**

﴿دَائِمٌ﴾، يتناقض مع قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (الرحمن:26) و﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ (القصص: ٨٨)، لأنَّ هاتين الآيتين تدلان على أن كل شيء يعتريه الهلاك، أي أن الجنة والنار لو كانت موجودة لاعتراها الهلاك، ولكن الهلاك للجنة والنار يناقض دوام الأكل والنعيم للجنة الذي ثبت بآيات أُخر، فينتج من ذلك أن القول بخلق الجنة والنار يترتب عليه محال التناقض السابق، ينتج من ذلك أن خلق الجنة والنار محال وليس بممكن[118] وفي ذلك نقد لدليل الإمكان الذي قال به أهل السنة والجماعة.

ويذكر الرازي كلاماً قريباً من كلام القاضي السابق، فيقول في كتابه (الإشارة في أصول الدين): " قالوا[119]: قال الله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ (القصص: ٨٨)، فلو كانت مخلوقة لهلكت كلها، وذلك يناقض قوله تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ﴾ (الرعد: ٣٥)"[120].

المحور الثاني: نقدهم للأدلة السمعية:

نقدهم للدليل السمعي الأول: قوله تعالى في حق الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٣)، وقوله تعالى في حق النار: **﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾** (البقرة: ٢٤).

استدل أهل السنة بهذه الآية على خلق الجنة والنار، فإن لفظة (أعدت) يدل على الزمن الماضي، الدال على الوجود.

فنقد المعتزلة هذا الاستدلال، إذ بينوا أن التعبير بلفظ الماضي في هذه الآيات جاء لا ليدل على الوجود بل ليدل على تحقق الوقوع، وفي ذلك يقول الزمخشري المعتزلي في (كشافه): "كلها للمضى، والمراد بها الاستقبال، لأنَّ ما الله فاعله في المستقبل بمنزلة ما قد كان ووجد لتحققه"[121].

ويبين الزمخشري عند تفسيره لسورة (غافر) للآيات [69 إلى 76]، والتي تتحدث عن النار وعذابها ما نصه: "إلا أن الأمور المستقبلة لما كانت في أخبار الله تعالى متيقنة مقطوعا بها: عبر عنها بلفظ ما كان ووجد، والمعنى على الاستقبال"[122].

ويقول العرياني: "قوله تعالى في حق الجنة: **﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾** (آل عمران:١٣٣)، وفي حق النار: **﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾** (البقرة: ٢٤). **﴿وَبُرِّزَتْ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾** (الشعراء:٩١)، وحملها على التعبير عمّا يقع في المستقبل بلفظ الماضي تنبيها على تحقق وقوعه"[123]، فالتعبير بالماضي لا يدل على وجودهما، بل هذا التعبير ليدل على تحقق هذا الوقوع.

نقدهم للدليل السمعي الثاني: قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ (البقرة: ٣٥).

استدل أهل السنة والجماعة على وجود الجنة والنار، بقصة آدم عليه السلام وزوجه حواء، حيث أسكنهما الله تعالى الجنة، فلو لم تكن الجنة موجودة لما كان معنى لإدخال الله تعالى آدم وحواء بها.

فنقد المعتزلة هذا الوجه من وجوه الاستدلال لأهل السنة، بأن الله تعالى أدخل آدم وحواء بستان من بساتين الدنيا، ولم يدخلهما الجنة المعهودة، وفي ذلك يقول أبو مسلم الأصفهاني المعتزلي: "هي جنة من جنان الدنيا في الأرض"[124].

ويستدل المعتزلة على أن هذه الجنة لم تكن جنة الخلد بل بستان من بساتين الدنيا بجملة من الوجوه، أجملها في نقطتين، وهما:

النقطة الأولى: أن الغرور لحق آدم في هذه الجنة، وجنة الخلد لا غرور فيها، وفي ذلك يقول البلخي المعتزلي: "لو كان آدم في جنة الخلد لما لحقه فيها الغرور من إبليس بقوله تعالى: **﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى﴾** (طه:120)"[125].

النقطة الثانية: أن جنة الخلد من دخلها لا يخرج منها أبداً، فلما أخرج آدم عليه السلام منها علمنا أنها لم تكن الجنة المقصودة، وفي ذلك يقول البلخي المعتزلي: "إن من دخل هذه الجنة لا يخرج منها بقوله تعالى: ﴿**وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ**﴾ (الحجر:48)"[126].

وحمل المعتزلة الإهباط الوارد في قوله تعالى: ﴿**وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ**﴾ (البقرة: 36)، على "على الانتقال من بقعة إلى بقعة"[127].

ويوضح البزدوي وجه استدلالهم بالآية، فيقول: "لو كان في جنات عدن فما تصور الخروج؟ فإن من دخل الجنة لا يخرج منها"[128]، فآدم عليه السلام وحواء لو أدخلا الجنة المعهودة لما خرجا منها، لأن الله تعالى أخبر أن من يدخل الجنة المعهودة لا يخرج منها أبداً، فلما أدخلا وخرجا علمنا أنَّ إدخالهما ليس في الجنة المعهودة، فبطل بذلك دليل أهل السنة المشار إليه سابقاً.

الأمر الثاني: رد أهل السنة والجماعة لنقد المعتزلة:

سأبحث هذا الأمر من خلال المحورين الآتيين:

المحور الأول: رد أهل السنة والجماعة لنقد المعتزلة لدليل الإمكان:

نفى أهل السنة وجود التناقض بين آية الهلاك وآية دوام الأكل، فلا يلزم المحال الذي ذكره المعتزلة، ووجه عدم التناقض بين الآيتين أن "المراد بدوام الأكل أنه إذا أفنى منه شيء جيء ببدله، لا أنه يبقى بعينه، وذلك لا ينافي الهلاك لحظة"[129]، فأكل أهل الجنة دائم بمعنى التجدد، لا بمعنى عدم الفناء، ودوام التجدد لا يناقض عدم الهلاك.

المحور الثاني: رد أهل السنة والجماعة لنقد المعتزلة للأدلة السمعية:

رد نقدهم للآية الأولى: قوله تعالى في حق الجنة: ﴿**أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ (آل عمران: ١٣٣)، وقوله تعالى في حق النار: ﴿**أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾ (البقرة: ٢٤).

أشار المعتزلة أن لفظة (أعدت)، وإن كانت تدل على الزمن الماضي، الذي يدل على الوجود والوقوع، إلا أن هذه اللفظة في هذا الموطن المراد منها غير ما وضعت له، بل المراد منها تأكيد الوقوع في المستقبل.

نقد أهل السنة هذا الفهم بقولهم: "وهذه الصيغة موضوعة للمضي حقيقة فلا وجه للعدول عنها إلى المجاز إلا بصريح آية، أو صحيح دلالة"[130]، فنقل المعتزلة هذه اللفظة من الحقيقة التي وضعت لها إلى المجاز من غير دليل، كلام باطل، فسقط بذلك استدلالهم.

رد نقدهم للآية الثانية: قوله تعالى: ﴿**وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ**﴾ (البقرة: ٣٥).

استدل أهل السنة على وجود الجنة، بأن الله تعالى أدخل بها آدم وحواء عليهما السلام، فنقد المعتزلة هذا الاستدلال بأنَّ الجنة التي أدخل بها آدم وحواء ليست الجنة المعهودة، بل بستان من بساتين الدنيا، فنقد أهل السنة هذا الاستدلال للمعتزلة بأن الجنة التي أخرج منها آدم عليه السلام هي جنة الخلد المعهودة، لأن الله تعالى ذكر لآدم عليه السلام أوصاف هذه الجنة، وهذه الأوصاف لا تكون إلا في الجنة المعهودة، يقول البزدوي: "وكذلك قال الله تعالى: ﴿**وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ**﴾ (البقرة: ٣٥)، وقال تعالى: ﴿**فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنْ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (117) إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى (118) وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى**﴾ (طه: ١١٧– ١١٩)، أخبر أنه لو خرج من الجنة؛ يشقى، وأنه في الجنة لا يجوع ولا يعرى ولا يظمأ ولا يضحى، وهذا من صفات جنات عدن لا من صفات جنّات الدنيا، فدلتنا هذه الآية أن آدم عليه السلام كان في جنات عدن"[131].

ويشير البزدوي إلى معنى آخر للتوفيق بين خروج آدم من الجنة المعهودة مع أن من دخلها لا يخرج منها، فيقول: فإن قالوا: لو كان في جنات عدن فما تصور الخروج؟ فإن من دخل الجنة لا يخرج منها.

فنقول: لا، فإن الملائكة يدخلونها ويخرجون منها، ولكن من دخل فيها بطريق الجزاء؛ لا يخرج فإن الله تعالى جعل جنّات عدن جزاء للأعمال بطريق الخلود؛ تفضلا منه على عباده"(132).

وادعاؤهم بأن الجنة التي أسكنها آدم وحواء، هي بستان في الدنيا، هذا تلاعب منهم بالدين، وخرق لإجماع الأمة، وفي ذلك يقول العرياني: "وقد أوله المخالف بأنهما إنما نقلا عن بستان من بساتين الدنيا بكونه في أرض فلسطين، قال صاحب المقاصد: هذا منهم يجري مجرى التلاعب بالدين والمراغمة لإجماع المسلمين"(133)، ويقول التلمساني: "وحملوا الجنة في قصة آدم على بستان من بساتين الأرض، وهذا تلاعب بالدين"(134).

ويستدل صاحب المسامرة بقوله تعالى: ﴿**اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً**﴾ (البقرة: ٣٨)، على أن الجنة التي أخرج منه آدم وحواء عليهما السلام هي الجنة المعهودة، فيقول: "وقال تعالى: ﴿**اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً**﴾ (البقرة: ٣٨)، وجه الاستدلال أنه تعالى: (أمر بالنزول) من الجنة (إلى) دار (الدنيا) أي الأرض (ولو كانت) الجنة (فيها) أي في الدنيا (لم يقل إلا اخرجوا) منها"(135).

المطلب السادس: مذاهب العلماء في خلق الجنة والنار، وفيه أمران:

الأمر الأول:

مذاهب العلماء الذين قالوا بخلق الجنة والنار في الأزل ووجودهما الآن من غير أهل السنة والجماعة.

لقد ذهب بعض العلماء من غير أهل السنة والجماعة إلى القول بأن الجنة والنار مخلوقتان، وفي ذلك وافقوا أهل السنة والجماعة في مذهبهم في هذه المسألة، ويبين لنا صاحب المواقف بعضاً من أولئك العلماء، فيقول: "ذهب أصحابنا وأبو علي الجبائي وأبو الحسن البصري إلى أنهما مخلوقتان، وأنكره أكثر المعتزلة وقالوا إنهما يخلقان يوم الجزاء"(136).

نلاحظ أن صاحب المواقف يبين مذهب أهل السنة والجماعة بقوله: (ذهب أصحابنا) ويقصد بالأصحاب هنا أهل السنة والجماعة، ومن ثم يبين من وافق أهل السنة والجماعة في مذهبهم في هذه المسألة من غيرهم، حيث ذكر أن أبا علي الجبائي وأبا الحسن البصري وهما من رؤوس المعتزلة، كان مذهبهم في هذه المسألة عين مذهب أهل السنة والجماعة، فالمعتزلة لم يجمعوا على مذهبهم في هذه المسألة بدليل قوله: (وأنكره أكثر المعتزلة) فأكثر المعتزلة قد أنكروا خلقهما الآن، بينما بعض المعتزلة لم ينكروا.

وفي بيان سلسلة العلماء الذين وافقوا أهل السنة والجماعة في خلق الجنة والنار من غير أهل السنة والجماعة، يذكر لنا الجرجاني واحداً منهم، فيقول: " الجنة والنار هل هما مخلوقتان الآن أو لا ذهب أصحابنا... وبشر بن المعتمر... إلى أنهما مخلوقتان"(137).

هنا يصرح الجرجاني بمن وافق أهل السنة والجماعة من غيرهم في مذهبهم في هذه المسألة، فيذكر أن بشراً بن المعتمر وهو من علماء المعتزلة قد وافق أهل السنة والجماعة في هذه المسألة.

الأمر الثاني:

مذاهب العلماء الذين نفوا خلق الجنة والنار في الأزل ووجودهما الآن من غير المعتزلة.

وعند النظر في مذاهب الفرق نجد أن بعضاً من الفرق قد اشترك مع المعتزلة في نفيهم لخلق الجنة والنار، وفي ذلك يقول البغدادي: "وهما عندنا مخلوقتان، وزعمت الضرارية والجهمية وطائفة من القدرية أنهما غير مخلوقتين، فإن آدم عليه السلام إنما كان في جنة من بساتين الدنيا" (138).

في كلام البغدادي السابق يمكن أن نقف عند ثلاثة أمور، أجملها فيما يأتي:

الأمر الأول: إنَّ مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة بينه البغدادي بقوله: (وهما عندنا مخلوقتان) فالمقصود من قوله: (عندنا) أي عند أهل السنة والجماعة والذي يعدَّ الإمام البغدادي واحداً من أعظم رجاله.

الأمر الثاني: يبين البغدادي من خالف أهل السنة والجماعة في هذه المسألة وزعم عدم خلقهما، فذكر طوائفاً غير المعتزلة، منهم الضرارية والجهمية، فنستنتج من هذا الكلام أن هذا القول ليس حصراً على المعتزلة، بل شاركهم فيه غيرهم ممن ذكر، ولكن أشهر فرقة نسب إليها هذا القول هم المعتزلة.

الأمر الثالث: ذكر البغدادي نقد هذه الطوائف دليل أهل السنة والجماعة الذي استدلوا به على خلق الجنة والنار، وهو سكن آدم وحواء عليهما السلام الجنة، فلما سكنا الجنة دل ذلك على أنها مخلوقة، فنقدوا هذا الدليل بأن التي سكنها آدم وحواء عليهما السلام ليست الجنة المعهودة بل بستان في الأرض، وقد تقدم نقد هذا الاستدلال.

الخاتمة.

في ختام البحث أوجز أهم النتائج في النقاط الآتية:

النقطة الأولى: لم يقع خلاف بين أهل السنة والجماعة والمعتزلة على حقية الجنة والنار وثبوتهما، لأنَّها من المسائل العقدية التي لا تحتمل الخلاف، لورودها بأدلة قطعية الثبوت قطعية الدلالة، بل الخلاف وقع في أنهما موجودتان أم ستوجدان في يوم الجزاء.

النقطة الثانية: ذهب أهل السنة والجماعة إلى القول بثبوت خلق الجنة والنار ووجودهما، وذهب المعتزلة إلى القول بنفي خلق الجنة والنار وعدم وجودهما، بل ستوجدان يوم الجزاء.

النقطة الرابعة: نقد أهل السنة والجماعة جميع أدلة المعتزلة من المنقول والمعقول التي ساقوها لإثبات مذهبهم، وبينوا عوار تلك الأدلة وضعفها وتهافتها، ونقد المعتزلة أدلة أهل السنة من المنقول والمعقول كذلك، إلا أن نقدهم فيه تعسف، وتحميل النصوص ما لا تحتمل.

النقطة الخامسة: لقد فهم أهل السنة والجماعة الأدلة السمعية في ضوء العقل المنضبط، فخرج مذهبهم من بين فرث ودم لبناً سائغاً للشاربين، بينما فهم المعتزلة الأدلة السمعية في ضوء عقل يتسم بالإفراط، فخرج مذهبهم سقيم وعليل.

النقطة السادسة: لم يذهب المعتزلة إلى ذاك القول بسبب اتباع الهوى، بل أرادوا أنْ يدفعوا تعارضاً ظهر لهم بين النصوص الشرعية، فخذلهم فهمهم وعقلهم، وما أغنت عنهم فلسفتهم العوراء المتهافتة من الحق شيئاً.

النقطة السابعة: في خلاصة البحث، يجد الباحث أن الحق في هذه المسألة مع أهل السنة والجماعة، لا مع المعتزلة، وما ذهب إليه المعتزلة، فيه خرق لإجماع الأمة.

الهوامش.

(1) الأصفهاني، الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان داوودي، دمشق، دار القلم، ط1، 1992م، ص204.

(2) انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، القاهرة، دار الحديث، دون ذكر رقم الطبعة، 1423هـ-2003م، ج2، ص235-236.

(3) الرازي، محمد بن عمر، **الإشارة في أصول الكلام**، تحقيق: محمد العايدي وربيع العايدي، عمان- الأردن، مركز نور العلوم، ط1، 1428هـ-2007م، ص352.

(4) الصاوي، أحمد بن محمد، **شرح الصاوي على جوهرة التوحيد**، تحقيق: د. عبد الفتاح البزم، دمشق – بيروت، دار ابن كثير، ط3، 1424هـ–2003م،ص394.

(5) النسفي، أبو المعين ميمون، **تبصرة الأدلة في أصول الدين**, تحقيق وتعليق الأستاذ الدكتور حسين أتاي والدكتور شعبان علي دوزكون، رئاسة الشؤون الدينية للجمهورية التركية – أنقرة، 1990م، دون ذكر رقم الطبعة، ج2، ص 365 .

(6) انظر: اللقاني، إبراهيم بن هارون، **هداية المريد لجوهرة التوحيد**، تحقيق: مروان حسين البجاوي، القاهرة، دار البصائر، ط1، 1430هـ–2009م، ص1102.

(7) أي إمكان الجنة والنار.

(8) الكومي، محمد بن أبي الفضل، **تحرير المطالب لما تضمنته عقيدة ابن الحاجب**، تحقيق: نزار حمادي، بيروت – لبنان، مؤسسة المعارف، ط1، 1429هـ– 2008م، ص282.

(9) السنوسي، محمد بن يوسف، **شرح العقيدة الكبرى**، تحقيق: السيد يوسف أحمد، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1427هـ – 2006م، ص440.

(10) الهمذاني، عبد الجبار بن أحمد (ت415هـ)، **شرح الأصول الخمسة**، تحقيق: د. عبد الكريم عثمان، القاهرة، مكتبة وهبة، ط4، 1427هـ–2006م، ص623.

(11) الكومي، **تحرير المطالب لما تضمنته عقيدة ابن الحاجب**، مرجع سابق، ص283.

(12) البزدوي، عبد الله بن محمد، **أصول الدين**، تحقيق: د. هانز بيتر لنس، القاهرة، المكتبة الأزهرية، 1424هـ–2003م، ص170.

(13) **صحيح البخاري**، كتاب التوحيد، باب: وكان عرشه على الماء 2700/6، حديث رقم:6987.

(14) العرياني، **خير القلائد شرح جواهر العقائد**، ص183.

(15) القاري، علي بن سلطان، **شرح كتاب الفقه الأكبر**، علق عليه علي محمد دندل، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط2، 1428هـ–2007م، ص165–166.

(16) الكومي، **تحرير المطالب لما تضمنته عقيدة ابن الحاجب**، ص283.

(17) **صحيح البخاري**، كتاب التوحيد، باب: وكان عرشه على الماء 2700/6، حديث رقم:6987.

(18) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ–2000م، ج23 ص183.

(19) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط2، 1384هـ–1964م، ج17ص246.

(20) **صحيح البخاري**، كتاب التوحيد، باب: وكان عرشه على الماء 2700/6، حديث رقم:6987.

(21) انظر: اللقاني، **هداية المريد لجوهرة التوحيد**، ص1102.

(22) **صحيح مسلم**، كتاب الجنة، باب صفة الجنة، رقم7063. (النووي، محي الدين، المنهاج شرح صحيح مسلم، بيروت – لبنان، دار المعرفة، ط6، 1420هـ–1999م.

(23) أخرجه أحمد (19682) مسند الكوفيين من حديث أبي موسى الأشعري. بهذا اللفظ. مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1421هـ– 2001م. والبخاري نحوه، كتاب التوحيد، باب: قوله تعالى: وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة، برقم (7006).

(24) رواه مسلم (234) في الطهارة، باب: الذكر المستحب عقب الوضوء.

(25) البخاري (111/4) في الصوم، باب: الريان للصائمين، ومسلم (1027) في الزكاة، باب: من جمع الصدقة وأعمال البر.

(26) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (239/2): رواه الطبراني في الأوسط.

(27) رواه الترمذي (2548) في صفة الجنة، باب: ما جاء في صفة أبواب الجنة.

(28) رواه الترمذي (55) في الطهارة، باب: فيما يقال بعد الوضوء.

(29) رواه البخاري (328/6) في بدء الخلق، باب: صفة أبواب الجنة، ومسلم (1152) في الصيام، باب: فضل الصيام.

(30) انظر: القرطبي، محمد بن أحمد، **التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة**، تحقيق: يوسف علي بدوي، دمشق – بيروت، دار ابن كثير، ط2، 1429هـ–2008م، ص385–389.

(31) ابن منظور، **لسان العرب**، ج8 ص736–737 (بتصرف).

(32) الجرجاني، علي بن محمد، **التعريفات**، بيروت–لبنان، دار الكتب العلمية، ط3، 2009م، ص235.

(33) الصاوي، **شرح الصاوي على جوهرة التوحيد**، ص392.

(34) أي إمكان الجنة والنار.

(35) الكومي، **تحرير المطالب لما تضمنته عقيدة ابن الحاجب**، ص282.

(36) الكومي، **تحرير المطالب لما تضمنته عقيدة ابن الحاجب**، ص283.

(37) البزدوي، **أصول الدين**، ص170.

(38) القاري، **شرح كتاب الفقه الأكبر**، ص165–166.

(39) المقصود: النار.

(40) القاري، **شرح كتاب الفقه الأكبر**، ص165–166.

(41) الكومي، **تحرير المطالب لما تضمنته عقيدة ابن الحاجب**، مرجع سابق، ص283.

(42) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة،ط1، 1420هـ–2000م، ج12، ص449.

(43) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة،ط2، 1384هـ–1964م، ج7 ص211.

(44) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ–2000م، ج23 ص183.

(45) **صحيح البخاري**، كتاب التوحيد، باب: وكان عرشه على الماء 2700/6، حديث رقم:6987.

(46) انظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ–2000م، ج23 ص183.

(47) انظر: اللقاني، **هداية المريد لجوهرة التوحيد**، ص1102.

(48) الصاوي، أحمد بن محمد، **شرح الصاوي على جوهرة التوحيد**، تحقيق: د. عبد الفتاح البزم، دمشق – بيروت، دار ابن كثير، ط3، 1424هـ–2003م، ص393.

(49) ابن بطة، عبيد الله بن محمد، **الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة**، تحقيق: عثمان عبد الله الأثيوبي وآخرون، دار الراية– الرياض، ط2،1415هـ ، 1994م، ج3، ص236.

(50) انظر: الداني، أبو عمرو، **الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات**، تحقيق: دغش بن شبيب العجمي، دار الإمام أحمد – الكويت، ط1، 1421هـ – 2000 م، ج1 ص195–197.

(51) الأشعري، علي بن إسماعيل، **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، صيدا– بيروت، المكتبة العصيرية، 1428هـ–2008م، ج2/ص355.

(52) يقصد الأشاعرة.

(53) انظر: الجرجاني، علي بن محمد، **شرح المواقف**، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ 1998م، ج8/ص328.

(54) انظر: الرازي، **شرح بدء الأمالي**، ص229.

(55) ابن أبي شريف، محمد بن محمد، **المسامرة شرح المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة**، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1423هـ–2002م،ص239.

(56) الغزنوي، أحمد بن محمد، **أصول الدين**، تحقيق: د. عمر وفيق الداعوق، بيروت – لبنان، دار البشائر الإسلامية، ط1، 1419هـ–1998م، ص248.

(57) ابن أبي العز، محمد بن علاء الدين، **شرح العقيدة الطحاوية**، تحقيق: أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط1، 1418هـ، ص420

(58) ابن أبي يعلى، محمد بن محمد، **الاعتقاد**، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار أطلس الخضراء، ط1، 1423 هـ – 2002، ج1 ص34.

(59) البستي، أحمد بن محمد، **معالم السنن [وهو شرح سنن أبي داود]**، المطبعة العلمية – حلب، ط1، 1351هـ – 1932 م، ج4 ص326.

(60) القيرواني، عبد الله بن عبد الرحمن، **متن رسالة القيرواني**، دار الفكر،دون ذكر رقم الطبعة وتاريخها، ج1 ص7.

(61) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **مجموع الفتاوى**، تحقيق: أنور الباز – عامر الجزار، دار الوفاء، ط3، 1426هـ – 2005م، ج5 ص77.

(62) القيرواني، عبد الله بن أبي زيد، **النكت المفيدة في شرح الخطبة والعقيدة**، تحقيق: د. الميلودي بن جمعة والأستاذ الحبيب بن طاهر، بيروت – لبنان، مؤسسة المعارف، ط1، 1429هـ–2008م، ص132.

(63) الرازي، محمد بن عمر، **الإشارة في أصول الدين**، تحقيق: محمد صبحي العايدي، وربيع صبحي العايدي، مركز نور العلوم، ط1، 1428هـ–2007م، ص352.

(64) العرياني، **خير القلائد شرح جواهر العقائد**، ص182.

(65) **صحيح البخاري**، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، 1185/3 حديث رقم: 3072.

(66) القاري، **شرح كتاب الفقه الأكبر**، ص165.

(67) **مسند الإمام أحمد** 359/14 : 8747.

(68) **صحيح البخاري** كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء، 135/1، حديث رقم: 342.

(69) **مسند الإمام أحمد** 289/14 : 8648.

(70) **صحيح البخاري**، كتاب الكسوف، باب صلاة الكسوف جماعة،357/1،حديث رقم: 1004.

(71) **صحيح البخاري**،كتاب الصوم، باب هل يقال رمضان أو شهر رمضان ومن رأى كله واسعا، 671/2 حديث رقم: 1799.

(72) القيرواني، **النكت المفيدة في شرح الخطبة والعقيدة**، ص132–133.

(73) التلمساني، عبد الله بن محمد، **شرح معالم أصول الدين**، تحقيق: نزار حمادي، بيروت – لبنان، دار مكتبة المعارف، ط1، 1432هـ–2011م، ص530.

(74) **تاريخ دمشق** 514/3. **دلائل النبوة للبيهقي** 394/2.

(75) الباقلاني، محمد بن الطيب، **الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به**، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط3، 1413هـ–1993م، ص53.

(76) العرياني، **خير القلائد شرح جواهر العقائد**، ص183.

(77) البزدوي، **أصول الدين**، ص170.

(78) الرازي، **الإشارة في أصول الدين**، ص352.

(79) ابن أبي شريف، **المسامرة شرح المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة**، ص241.

(80) القاضي، عبد الجبار بن أحمد، **التفسير الكبير أو المحيط**، تحقيق: د. خضر محمد، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية،ط1، 2009م، ص246.

(81) الشهرستاني، **الملل والنحل**، مرجع سابق، ج1ص135.

(82) العرياني، **خير القلائد شرح جواهر العقائد**، ص182.

(83) التلمساني، **شرح معالم أصول الدين**، ص276.

(84) انظر: الرازي، **شرح بدء الأمالي**، ص229.

(85) انظر: اللقاني، **هداية المريد لجوهرة التوحيد**، ص1104.

(86) القيرواني، **النكت المفيدة في شرح الخطبة والعقيدة**، ص133.

(87) انظر: الجرجاني، **شرح المواقف**، ج8 ص328.

(88) أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى الأشعري صاحب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هو صاحب الأصول والقائم بنصرة مذهب السنة، وإليه تنسب الطائفة الأشعرية، وشهرته تغني عن الإطالة في تعريفه ومولده سنة سبعين، وقيل ستين ومائتين بالبصرة. وتوفي سنة نيف وثلاثين وثلاثمئة، وقيل: سنة أربع وعشرين وثلاثمئة، وقيل: سنة ثلاثين... ودفن بين الكرخ وباب البصرة /انظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ج3، ص284.

(89) الأشعري، **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، ج2/ص356.

(90) القاضي، عبد الجبار بن أحمد، **التفسير الكبير أو المحيط**، تحقيق: د. خضر محمد، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية،ط1، 2009م، ص246.

(91) انظر: اللقاني، **هداية المريد لجوهرة التوحيد**، ص1104.

(92) العرياني، **خير القلائد شرح جواهر العقائد**، ص184-185.

(93) التلمساني، **شرح معالم أصول الدين**، ص530-531.

(94) البلخي، عبد الله بن أحمد، تفسير أبي القاسم الكعبي البلخي، تحقيق: د. خضر محمد، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 2007-1428هـ، ص148.

(95) القاضي، عبد الجبار بن أحمد، **التفسير الكبير أو المحيط**، تحقيق: د. خضر محمد، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية،ط1، 2009م، ص246.

(96) التلمساني، عبد الله شرف الدين، **شرح لمع الأدلة**، تحقيق: أ. د. السيد محمد سعيد عبد الوهاب، القاهرة، دار الحديث، ص276.

(97) ابن أبي شريف، **المسامرة شرح المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة**، ص239.

(98) القيرواني، **النكت المفيدة في شرح الخطبة والعقيدة**، ص133.

(99) البلخي، عبد الله بن أحمد، تفسير أبي القاسم الكعبي البلخي، تحقيق: د. خضر محمد، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 2007-1428هـ، ص148.

(100) انظر: اللقاني، **هداية المريد لجوهرة التوحيد**، ص1105.

(101) انظر: الجرجاني، **شرح المواقف**، ج8/ص329-330.

(102) العرياني، **خير القلائد شرح جواهر العقائد**، ص183.

(103) العرياني، **خير القلائد شرح جواهر العقائد**، ص185.

(104) انظر: اللقاني، **هداية المريد لجوهرة التوحيد**، ص1104.

(105) العرياني، **خير القلائد شرح جواهر العقائد**، ص185.

(106) التلمساني، **شرح معالم أصول الدين**، ص277.

(107) القيرواني، **النكت المفيدة في شرح الخطبة والعقيدة**، ص133.

(108) التلمساني، **شرح معالم أصول الدين**، ص531.

(109) انظر: الجرجاني، **شرح المواقف**، ج8/ص330.

(110) التلمساني، **شرح معالم أصول الدين**، ص276.

(111) السنوسي، **شرح العقيدة الكبرى**، ص440.

(112) القيرواني، **النكت المفيدة في شرح الخطبة والعقيدة**، ص133.

(113) ابن أبي شريف، **المسامرة شرح المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة**، ص239-242.

(114) السنوسي، **شرح العقيدة الكبرى**، ص440.

(115) القيرواني، **النكت المفيدة في شرح الخطبة والعقيدة**، ص133.

(116) **مسند الإمام أحمد**418/24 : 16693.

(117) انظر: اللقاني، **هداية المريد لجوهرة التوحيد**، ص1104-1105.

(118) انظر :القاضي، عبد الجبار بن أحمد، **التفسير الكبير أو المحيط**، تحقيق: د. خضر محمد، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية،ط1، 2009م، ص246.(بتصرف)

(119) المقصود المعتزلة.

(120) الرازي، **الإشارة في أصول الدين**، ص352.

(121) الزمخشري، محمود بن عمر، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل**، دار الكتاب العربي . بيروت، 1407 هـ ، ج3 ص592.

(122) الزمخشري، محمود بن عمر، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، دار الكتاب العربي . بيروت، 1407 هـ ، ج4 ص178.

(123) العرياني، **خير القلائد شرح جواهر العقائد**، ص182.

(124) الأصفهاني، محمد بن بحر، جامع التأويل لمحكم التنزيل، تحقيق: د. خضر محمد، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية،ط1، 2007-1428هـ، ص35.

(125) البلخي، تفسير أبي القاسم الكعبي البلخي، ص114.

(126) البلخي، تفسير أبي القاسم الكعبي البلخي، ص114.

(127) البلخي، تفسير أبي القاسم الكعبي البلخي، ص114.

(128) البزدوي، **أصول الدين**، ص170.

(129) العرياني، **خير القلائد شرح جواهر العقائد**، ص183.

(130) القاري، **شرح كتاب الفقه الأكبر**، ص165.

(131) البزدوي، **أصول الدين**، ص170.

(132) البزدوي، **أصول الدين**، ص170.

(133) العرياني، **خير القلائد شرح جواهر العقائد**، ص183.

(134) التلمساني، **شرح معالم أصول الدين**، ص276.

(135) ابن أبي شريف، **المسامرة شرح المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة**، ص241.

(136) الإيجي، عبد الحمن بن أحمد، **المواقف في علم الكلام**، بيروت– لبنان، عالم الكتب، دون ذكر رقم الطبعة وتاريخها، ص374.

(137) انظر: الجرجاني، علي بن محمد، **شرح المواقف**، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ 1998م، ج8/ص328.

(138) البغدادي، **الفرق بين الفرق**، ص262.